(ال) التعريفِ في اللُّغةِ العرَبيَّةِ
دِراسةٌ دِلاليَّةٌ بَلاغيَّةٌ

Husain ASWAD*

Arap Dilinde Marifelik Takısı (ال) Belağat Ölçütleriyle İnceleme

Özet

Marifelik ve nekrelik Arap dilinde iki temel dilsel olgudur. Birincisi (marifelik) belirli bir şeyi gösterme anlamındadır. İkincisi (nekrelik) geneli ifade etme anlamındadır. Marifelik birçok yolla gerçekleşir. (ال) takısının ismin başına getirilmesi bu yollardan biridir. Bu durumda (ال) takısının başına getirildiği isme (ال) ile marife olmuş denir.

(ال)ile ismin marifeleştirilmesi, sınırlı ölçütler ve belirli amaçlar için olup, keyfi ve rastgele olmaz. Bu araştırma (ال)in isimle birleşmesinde gösterdiği ölçütlerin önemlilerinin araştırmasını konu edinmenin yanı sıra (ال)in isimle ve özellikle haberle birleşmesinden kaynaklanan belağî yönlerini incelemektedir. Burada önemli olan söz konusu isimin (ال) takısı almadan önce onda olmayıp kazandığı yeni özelliklerin ortaya konulmasıdır.

Anahtar Kelimeler: Arap Dili, Marifelik Takısı, (ال).

❋❋❋

* Yrd. Doç. Dr., Bingöl Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Arap Dili ve Belagatı Anabilim Dalı, hos-s@hotmail.com.

Definite Article (ال) In Arabic Language Indicative & Rhetorical Study

Abstract

Identification And Indefinite are two major linguistic phenomenon in Arabic Language; the first means Indicating a definite thing, whereas the second indicates common. Identification comes through varied ways such as inserting Definite Article (ال) to a noun ; it is here called ' identified with Definite Article (ال).

Identifying a noun with Definite Article (ال) is intended for specific purposes and indications ; it is neither randomly nor arbitrarily , so this research is concerned to study main indications that Definite Article (ال) shows when inserted to the name, and rhetorical sides stems from that Definite Article (ال) insertion to a name especially the Predicate. Research reveals importance of granting the name new characteristics which are not known before Definite Article (ال) is inserted into it.

Key Words: Arabic Language, Definite Article (ال).

خُلاصةُ البحثِ

إنّ التعريفَ والتنكيرَ ظاهرتانِ لغويتان أساسيّتانِ في اللغة العربية، الأولى تعني الدِّلالةَ على شيءٍ محدَّدٍ، وتعني الثانيةُ الدلالةَ على العُمومِ. والتعريفُ يَتِمُّ بِعدّةِ طُرقٍ منها إدْخَالُ لامِ التعريفِ إلى الاسمِ ، ويُسمى عندئذٍ هذا الاسمُ مَعرّفاً بـ(ال).

وتعريفُ الاسمِ باللامِ يكونُ لِغاياتٍ مُعينةٍ ودِلالاتٍ محددةٍ، ولا يكونُ الأمرُ اعتباطياً وعَشوائياً، لذلك اهتمَّ هذا البحثُ بِدراسةِ أهمّ الدلالاتِ التي تُشيرُ إليها لامُ التعريفِ عند دُخولها على الاسمِ، كما اهتمَّ هذا البحثُ بِدراسةِ الجوانبِ البلاغيةِ التي تنجُمُ عن دُخولِ لامِ التعريفِ على الاسم، ولا سيما الخبر، مُبيّناً البحثُ أهميةَ ذلك في إكسابِ هذا الاسمِ خصائصَ جديدةً لم تكن موجودةً قبلَ دخولِ اللام عليه

التعريفُ والتنكيرُ:

وهما ظَاهرتانِ أساسيتان في اللغة العربية، يدورُ مِحْوَرُهما حولَ الدِّلالةِ على مُعيَّنٍ من جِنسهِ أو عدمِ الدِّلالةِ عليه. يقولُ أبو حيّان الأندلسي [ت ٧٤٥هـ]:" والمعرفةُ الاسمُ الموضوعُ على أنْ يَخُصَّ واحداً من جنسهِ"[١]

(١)- ارتشافُ الضَرب من لسان العرب: أبو حيان الأندلسي، تحقيق: الدكتور رجب عثمان محمد، والدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م، ٩٠٧/١

وعرّف الزمخشريُّ المعرفةَ"بأنها ما دلّ على شيءٍ بعينهِ"[٢] فالمعرفةُ عند النحويين العرب هي كلُّ اسمٍ دلّ على معيّنٍ من أفرادِ جنسهِ، نحو: أنا، أنتَ، هذا، دمشق.

أمّا النكرةُ فهي ما عَدا المعرفةِ، يقول ابنُ مالكٍ الطائي [ت٦٧٢هـ]:والنكرةُ " ما كان شَائعاً في جِنسهِ ك (حَيَوان) أو في نوعِه ك(إنسان)"[٣] وقريبٌ من هذا التعريف قول أبي حيان:" والنكرةُ الاسمُ الموضوعُ على أنْ يكون شائعاً في جنسه، إنْ اتفقَ أن يوجدَ له جنسٌ"[٤] فالنكرةُ هي كلُّ اسم لا يدلّ على مُعيَّنٍ من أفرادِ جِنسهِ، مثل: بيتٍ، رَجُل، يَدٍ.

وقد وَجَدَ النحويون صُعوبةً في إيجاد حدٍّ فاصلٍ للنكرةِ، لِتَداخُلِ الشّكلِ والمعنى بينها وبين المعرفة، وقد اكتفى كثيرٌ من النحويين بالقول : المعرفةُ ضِدُّ النكرة، والنكرةُ ما سوى المعرفةِ. على نحو ما فعل ابن مالك[ت٦٧٢هـ] إذ قال:(حَدُّ النكرةِ عَسِرٌ، فهي ما عدا المعرفةِ)[٥]

أنواعُ المعارفِ:

تُحْصَرُ المعارفُ عندَ كثيرٍ من النحويين، كسيبويه[ت١٨٠ هـ][٦]، والمبرّد[ت ٢٨٥هـ][٧]، وابنِ السرَّاجِ النحوي [ت ٣١٦هـ] [٨] وابن جِنّي[ت ٣٩٢هـ][٩]، وغيرِهم، في خمسةِ أنواعٍ:

١– الضميرُ، نحو: هو، أنتَ، إياكَ، والهاء في كلمة(كتابهِ)...

٢– العَلَمُ، نحو: زيدٌ خالدٌ ، مكةُ، دمشق...

٣– اسمُ الإشارةِ، نحو: هذا، ذاك...

٤– المُعرّفُ بـ(ال) نحو: الطفلُ، الطالبُ، الغلامُ...

٥– المضافُ إلى أحَدِ هذه المعارِفِ، نحو: كتابي(مضافٌ إلى الضمير) غلامُ زيدٍ(مضافٌ إلى العلمِ) منزلُ هؤلاءِ(مضافُ إلى اسمِ الإشارة)صاحبُ البيتِ(مضافٌ إلى مُعرَّفٍ بـ ال).

(٢)– المفصل في علم العربية: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري،دار الجيل، الطبعة الثانية، بيروت– لبنان،ص ١٩٧

(٣) – شرح الكافية الشافية: جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي، تحقيق: الدكتور عبد المنعم أحمد هريدي، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م ١/ ٢٢٢

(٤)– ارتشاف الضرب من لسان العرب، ٩٠٧/١

(٥)– همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد السلام هارون وعبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٣هـ–١٩٩٢م،١٨٨/١

(٦) ينظر كتاب سيبويه: أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام هارون،عالم الكتب،بيروت، الطبعة الثالثة،١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، ٥/٢

(٧) ينظر المقتضب:أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة،جمهورية مصر، وزراة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،١٤١٥هـ–١٩٩٤م، ٢٧٦/٤

(٨) ينظر الأصول في النحو: أبو بكر محمد بن سهل بن السراج،تحقيق: الدكتور عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ– ١٩٩٦م، ١٤٩/١

(٩) ينظر اللمع في العربية: أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: الدكتور سميح أبو مغلي، عمان، دار مجد لاوي للنشر، ١٩٨٨م، ص ٧٥

وزادَ بعضُهم المنادى، نحو: يا طالبُ، و يا رجُلُ، والاسمَ الموصولَ، نحو: الذي، التي. وهو اختيارُ ابنِ مالكٍ[ت٦٧٢ هـ][١٠]، وابنِ هشامٍ[ت ٧٦١هـ][١١]، والسيوطيِّ[ت ٩١١هـ][١٢] وغيرِهم.

المعرَّف بـ (ال):

اختلَفَ النحويون في (ال) التعريف، أهيَ كلُّها التي تُعرِّفُ أم اللامُ وحدَها؟ أو الهمزةُ وحدَها؟ وهو أمرٌ ثانوي لا فائدةَ من ذِكرِهِ أو الخوضِ فيه بعد أن اشتُهِرَ الرأيُ القائلُ بأنهما معاً[١٣].وما يَعنِينا هنا هو الوقوفُ على دِلالاتِ هذه اللام، وخصائصها البلاغيّة.

أولاً– (ال)التعريفِ دِلالياً

إنّ المُتَتبّعَ لِمَبْحثِ التعريفِ والتنكير، والمتأمِّلَ في لامِ التعريفِ يلحَظُ أنّ لهذه اللامِ نوعينِ من الدلالةِ:

١– دلالةٌ وَضْعيةٌ أساسيةٌ؛ وهي الدلالةُ التي تُعرَفُ بـ(التّعيينِ) أي تعيينِ المسمّى وتحديدِه، ونقلهِ من العُمومِ إلى الخصوص، وهي دلالةٌ تلازمُ اللامَ عند دخولها الكلماتِ، فتفيدُ في تَعيينِها وفي تَحديدِ مضمونها. يقول محمد بن علي بن محمد الجُرجاني [ت ٧٢٩ هـ]: « والتحقيقُ أن اللامَ موضوعةٌ للدِّلالة على تعيُّنِ المسمّى، كما أن التنوينَ موضوعٌ للدلالةِ على عَدَمِ تعيُّنِهِ، وإمّا كونُه جِنساً، أو استغراقَ جِنسٍ، أو عَهداً، فإنما يُستفادُ من قرائنِ الأحوالِ، فإذا لم تكن القرينةُ لم تخرجِ اللامُ عن دِلالتها على تعيُّنِ المسمّى»[١٤]. فاللام تُفيدُ في تعيين الكلمةِ وفي تقييدها، والتنوين يفيد الإطلاقَ والعموم، أما دلالةُ لامِ التعريف على الجنس أو الاستغراق أو العهد فهو أمر يَتْبَعُ القرائنَ المتوافِرةَ.

٢– دلالةٌ ثانويةٌ مُتَغيّرةٌ؛ أي تتغيرُ حسبَ السياقِ وقرائنِ الحالِ على نحو ما ذَكَر الجرجاني في كلامه السابق. ولما كانتْ قرائنُ السياقِ متغيرةً وغيرَ ثابتةٍ كان من الطبيعي أن تتغيرَ دلالةُ لام التعريفِ وتختلف من مكان إلى آخر، وقد ضبطَ علماءُ العربيةِ هذه الدلالات استناداً إلى تلك القرائن والأحوال، ويمكن أن نوجز هذه الدلالات الفرعية على النحو الآتي:

١) – الدلالةُ على فردٍ مَعْهودٍ من أفرادِ الحقيقةِ:

(١٠) ينظر شرح التسهيل: ابن مالك الأندلسي، تحقيق: الدكتور عبد الله السيد، والدكتور محمد بدوي المختون، دار هجر، الطبعة الأولى ١٣١٠هـ – ١٩٩٠م، ص ١١٥

(١١) ينظر شرح قطر الندى وبل الصدى: أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الخير، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، ص ٩٥

(١٢)ينظر همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد السلام هارون وعبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، ١٨٩/١

(١٣) ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك؛ محمد بن علي الصبان، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ٣٦١/١.

(١٤) الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة: محمد بن علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: د. عبد القادر حسين، دار نهضة مصر، القاهرة، ص٤٠.

تدخلُ لامُ التعريف على بعضِ الكلماتِ فتدُلّ على فردٍ من أفرادِ الحقيقة مَعلوماً، واحداً كان أو اثنين أو جماعة، مَعهودٍ خارجاً بين المتكلِّم والمخاطَبِ[١٥]،وتُشيرُ إليه وتجعلُ مَدْلوله معيّناً بعد أن كان مُبهمَاً شائعاً. وتُسمى هذه اللام بلام العَهدِ الخارجي.

ولا بدَّ من وجودِ ارتباطٍ وثيقٍ، وعلاقةٍ واضحةٍ بين الكلمة التي دخلتْ عليها اللامُ، وبين معهودِها، علماً أنَّ المعهودَ هو الكلمةُ التي تُشيرُ إليها اللامُ وترتبطُ بها معنوياً، لأنَّ وظيفةَ ال التعريف هنا هي الدلالةُ على هذا المعهودِ والإشارةِ إليه وجعلِهِ مَعلوماً.

وهذا المعهودُ يختلفُ من جملةٍ إلى أخرى:

فإمَّا أن يُذكَرَ صَراحةً[١٦] في السياق؛ وهنا تدلّ اللام على المذكور دلالةً واضحةً، وتنبّهُ السامعَ لكي يرجِعَ إلى هذا اللفظِ المذكور لأنه المقصودُ من الدلالةِ، بمعنى أن الكلمةَ تُذكَرُ في السياقِ مرتين بلفظٍ واحدٍ، تكون في الأولى نَكِرةً مجرّدة من (ال) التعريف، وفي الثانية مقرونةً بها، فَترتبِطُ (ال) بين الكلمتينِ، وتحدّدُ دلالةَ الكلمةِ الثانية بأن تحصُرَ مدلولها في فردٍ معيَّن واحد، وهو الفردُ نفسهُ الذي تَدُلُّ عليه الكلمة الأولى المُنكَرَة. مثال ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا (١٥) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ [١٧] فقد دخلت أل التعريف على كلمة (الرسول) لِتدُلّ على معهودٍ صريحٍ مرَّ ذِكْرُه، وهو كلمةُ (رسول) الأولى، فبَانَ مدلولها وتحدَّد معناها، لذلك ذُكرت كلمة (الرسول) مرتين، الأولى بغير (ال) فبقيت على تنكيرها، والثانية مقرونةً بـ (ال) فأفادت اللامُ الربطَ بين النكرتين رَبْطاً معنوياً يجعل معنى الثانية فرداً محصوراً فيما دلّت عليه، حيثُ مدلولُهُ ومعناهُ النكرةُ السابقةُ ذاتها. ومن ذلك أيضاً: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ [١٨] فقد أفادتْ لامُ التعريف الواردةُ في لفظتي (المصباح) و(الزجاجة) الإشارةَ إلى معهودٍ خارجيٍّ مَرَّ ذِكره صراحةً في السياق اللغوي نفسِه، وهو كلمتا (مصباح) و(زجاجة) النكرتان.

وإمَّا أن يكون العهدُ مذكوراً كنايةً[١٩]: وهو أن يَتقدَّم ذِكْرُ المعهودِ على نحوٍ كنائيٍّ غيرِ صريحٍ، وليس المرادُ بالكناية هنا الكنايةُ البلاغيةُ المعلومةُ، بل المرادُ استعمالُ المُبْهَمِ في مُعيَّنٍ، بقرينةٍ، فأشبَهَ الكناية[٢٠].

(١٥) نظر: الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني، شرح وتعليق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الأزهرية، الطبعة الثالثة١٤١٣ هـ -١٩٩٣م،٢٢/٢، وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: بهاء الدين السُّبكي، تحقيق: د.خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م، ٢٨٥/٢، والمطول شرح تلخيص مفتاح العلوم: سعد الدين التفتازاني، تحقيق: د.عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م ، ص٢٢٤.

(١٦) ينظر: عروس الأفراح ٢٨٥/٢، والمطول، ص٢٢٤.

(١٧) الآيتان ١٥، ١٦ من سورة المزمل.

(١٨) الآية ٣٥ من سورة النور.

(١٩) ينظر: المطول، ص٢٢٤.

(٢٠) ينظر: المفصل في علوم البلاغة العربية : د.عيسى علي العاكوب، منشورات جامعة حلب، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م، ص١١٩.

ومثال ذلك قوله تعالى على لسان امرأة عمران: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [٢١]، والشاهد في قوله: (وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى) حيث أشارتْ لامُ التعريف في لفظ (الذَّكر) إلى عهدٍ كنائي غيرِ صريحٍ ورَدَ في قوله: (رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا) فإنَّ لفظَ (ما) وإنْ كان يعُمُّ الذكورَ والإناثَ، لكنَّ التحْريرَ – وهو أن يُعتَقَ الوَلَدُ لِخِدمةِ بيتِ المقدِس – إنما كان للذكور دونَ الإناثِ، لأنّهم لم يكونوا يَنذُرُون تَحريرَ الإناثِ[٢٢].

وهذه الآية (وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى) شاهدٌ أيضاً على العهدِ الصريح، وهو لفظ (الأنثى) إذ تُشيرُ هذه اللامُ إلى ذِكرٍ صَريحٍ سابقٍ وهو (أنثى) الأولى المنَكّرةُ.

وقد يُستغنى عن تَقدُّمِ الذِّكْرِ المعهودِ في السياق لِعِلْمِ المخاطبِ به بالقرائن [٢٣]، نحو: خَرجَ الأميرُ، إذا لم يكن في البلد إلا أميرٌ واحدٌ، وكقولك لمن دخَلَ البيت: أغلقِ البابَ. فاللام في كلمتي (الأمير) و(الباب) تُشيرُ إلى مَعهودٍ غيرِ مذكور، ولكنَّهُ معلومٌ للمُخاطَبِ [٢٤].

كذلك قولك: يا أيها الرجُلُ، وهذا الرجُلُ، فقد جِيء بلام التعريف هنا للإشارة إلى معهودٍ غيرِ مذكورٍ، لكنهُ معلومٌ للمخاطَب بالحُضُورِ [٢٥]، ذلك أن المخاطَبَ حاضِرُ أمام المتكلِّم وقتَ الكلام، فهو معهود بالنسبة إليه مُشاهدةً وعياناً.

يُفادُ من ذلك كلِّه أن لامَ التعريفِ إذا جِيء بها للإشارةِ إلى فردٍ من أفرادِ الحقيقة (حِصَّةٍ من الحقيقة) معهودٍ خارجاً بين المتكلِّم والمخاطَب، فهي للدلالةِ العهد الخارجي، وهذا العهدُ إما أن يكون صريحاً أو كنائياً أو محذوفاً لِعِلْم المخاطَبِ به.

٢) – الدلالةُ على جِنْسِ مَدْخُولها وحقيقَتِهِ:

تدخُلُ لام التعريف على بعضِ الأسماءِ فتدلُّ على حقيقتها القائمةِ في الذهنِ من حيثُ هي هي، ومادَّتِها التي تَكَوَّنَتْ منها في العقلِ، بِصَرْفِ النَّظَرِ عمَّا يقعُ تحتَ هذه الحقيقة من أفرادٍ، إذ قد يكون أولئكَ الأفرادُ من لا تَصْدُقُ عليه هذه الحقيقة، نحو: «الرَّجُلُ خيرٌ من المرأة» [٢٦] إنَّ وظيفةَ (ال) التعريف في كلمتي (الرجل) و(المرأة) الدلالةُ على حقيقةِ الرجلِ والمرأةِ، وطبيعتِهما الفطريةِ، أي؛ إذا قُوبلتْ حقيقةُ كلٍّ منهما بحقيقةِ الآخرِ، فحقيقةُ الرجلِ خيرٌ من حقيقةِ المرأةِ، من غيرِ أن تُريدَ أنَّ كُلَّ واحدٍ من جِنسِ الرجالِ أفضلُ من

196| db

(٢١) الآيتان ٣٥، ٣٦ من سورة آل عمران.

(٢٢) ينظر: عروس الأفراح ٢/٢٨٥، والمطول، ص٢٢٤ – ٢٢٥.

(٢٣) ينظر: المطول، ص٢٢٥.

(٢٤) تسمى لام العهد العلمي غير الحضوري.

(٢٥) تسمى لام العهد العلمي الحضوري.

(٢٦) ينظر: الإيضاح ٢/٢٣، وعروس الأفراح ٢/٢٨٥، والمطول، ص٢٢٥.

كلِّ واحدٍ من جِنسِ النساءِ، وإلا فكم من امرأةٍ خيرٌ من رجلٍ باعتبار شَرفها وقدرِها وكرامتها عند الله، وقد سمَّى النحويون والبلاغيون هذا النوعَ من اللام لامَ الحقيقةِ أو الجنسِ(٢٧).

ومن هذه اللام في الشِّعرِ قولُ زهير(٢٨):

وما الحَربُ إلا ما علمتُمْ وذُقتُمُ وما هوَ عنها بالحَديثِ المُرَجَّمِ

أي جنسُ الحربِ وحقيقتها، فاللام هنا تشيرُ إلى طبيعة الحرب وحقيقتها من حيث هي هي.

ومنه أيضاً قول البوصيري صاحب البردة(٢٩):

والنَّفْسُ كالطِّفلِ إنْ تُهمِلْهُ شَبَّ على حُبِّ الرَّضَاعِ وإنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ

أي طبيعةُ نفس الإنسانِ كطبيعةِ الطفل.

٣) – الدلالةُ على فَردٍ مُبهمٍ من أفرادِ الحقيقةِ:

أحياناً تدخلُ لامُ التعريف على اسمٍ ما فتكونُ وظيفتها الدلالةَ على فردٍ غيرِ معينٍ من أفراد هذا الاسمِ أو هذا المدْخُولِ، باعتبارِ عهديَّتِهِ في الذهن، لمطابقةِ ذلك الواحدِ الحقيقةَ، وذلك عند قيامِ قرينةٍ دالّةٍ على أنْ ليسَ القصْدُ إلى نفسِ الحقيقةِ من حيث هي هي، كما في اللام السابقة، لامِ الحقيقةِ أو الجنسِ، بل من حيثُ الوجودُ، لا من حيثُ وجودُها في ضمنِ جميعِ الأفراد بل في بعضهم(٣٠).

مثال ذلك قولك: «أعطِ المسكينَ صَدَقةَ الفِطْرِ» فإنه ليس المُرادُ بالمِسكين هنا حقيقتَهُ من حيث هي هي، لأن الحقيقةَ لا تُطعَمُ، كما أنه ليس المرادُ الحقيقةَ باعتبارها في جميع الأفراد لِاستحَالتِهِ، بل المرادُ ٥ قليلٌ من الأفراد غيرُ معين أو واحدٌ على الأقل. فلفظ (أعْطِ) قرينةٌ على إرادةِ فردٍ مُبهمٍ من أفرادِ حقيقةِ المساكين.

ومنها أيضاً قولُكَ لأحدِهم: (أُدْخلِ السوقَ) وليس بينَكَ وبينَ مخاطبِكَ سوقٌ معهودٌ في الخارج، فاللام في (السوقِ) للدلالةِ على سوقٍ من الأسواقِ غيرِ معيَّنٍ، والقرينةُ الدالةُ على ذلك هي قولك (ادخل) وليس المرادُ هنا حقيقةُ السُّوقِ وماهيَّتُهُ، لأن الدخولَ لا يُتصوَّرُ في الحقيقةِ من حيث هي هي. وتسمى هذه اللام بِلامِ العهدِ الذهني(٣١).

(٢٧) ينظر: الإيضاح ٢٧/٢، والمطول، ص٢٢٨.

(٢٨) ينظر: شعر زهير بن أبي سلمى، صنعة الأعلم الشنتمري، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠م، ص١٨.

(٢٩) البيت في ديوان البوصيري: تحقيق: محمد سيد كيلاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي، الطبعة الأولى ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥م، ص١٩١.

(٣٠) ينظر: المطول، ص٢٢٥.

(٣١) هي عند النحويين قسم من أقسام اللام العهدية.

ومن أمثلتها في القرآن الكريم قوله تعالى على لسان نبيّه يعقوب عليه الصلاة والسلام: ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾[٣٢]، جيء باللام في كلمةِ(الذئب) للدلالةِ على فردٍ من أفراد حقيقةِ الذئبِ، غيرِ معينٍ، والقرينةُ المانعة من جعل هذه اللامِ للحقيقةِ والماهيةِ هي قوله: (أنْ يأكله) إذ دلّ الأكلُ على ذئبٍ غيرِ معينٍ من الذئاب، لا على حقيقةِ الذئبِ وجنسهِ، لأن الحقيقةَ أمرٌ عقلي لا وُجودَ له في الخارج، فالمراد هو أيّةُ ذاتٍ من ذواتِ جنسِ الذئاب وحقيقتِهِ دونَ تعيينٍ[٣٣].

ونظيرُ ذلك قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [٣٤] أي: «فردٌ من الحميرِ غيرُ معين، وقرينةُ إرادة الفردِ دونَ الحقيقة والجنس إسنادُ حَمْلِ الأسفارِ إليه، لأن الجنسَ لا يحمِلُ» [٣٥] بل الفردُ هو الذي يحمِلُ.

ويلحَظُ المتأملُ هنا أن المعرَّفَ بلام العهد الذهني الذي نحن بِصَدَدِهِ مساوٍ للنكرة في دلالةِ كلٍّ منهما على فردٍ مُبهم، بالنظر إلى القرينة، أمّا بالنظر إلى لفظه – دون القرينة – فهو معرفةٌ لفظاً ومعنًى؛ أمّا لفظاً فلوجود اللام المعرِّفَة، وأما معنى فلأنه يدلّ حينئذٍ على الحقيقة في فردٍ من أفرادِها غير معين، لذلك أجازُ العلماءُ مُعامَلَتَهُ مُعاملةَ النكرة نظراً إلى القرينة، ومُعاملتهُ مُعاملةَ المعرفةِ نظراً للفظ والمعنى، ومِنْ هذا المبدأ يَكثُر وصْفُ مَدخولِ هذه اللام بالجمل[٣٦]، تطبيقاً للقاعدة النحوية التي تقول: بَعْدَ النكراتِ صفاتٌ، مثال ذلك قول الشاعر[٣٧]:

ولقــد أَمُــرُّ علــى اللئــيمِ يَسُــبُّني فَمَضــيتُ ثُمَّــتَ قُلــتُ: لا يَعْنيــني

المعنى: ولقد أمرُّ على لئيمٍ من اللئام. وتُعرب جملة (يسبني) صفةً لا حالاً[٣٨]، كذلك الشأن في قوله تعالى السابق: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ فإن جملة (يحمل أسفاراً) صفةٌ للحمار[٣٩].

٤) – الدلالةُ على حقيقةِ جميعِ أفرادِ مَدْخُولها:

(٣٢) الآية ١٣ من سورة يوسف.

(٣٣) ينظر: التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م، ٣٠/١٢، ٣١.

(٣٤) الآية ٥ من سورة الجمعة.

(٣٥) ينظر: التحرير والتنوير ٣١/١٢.

(٣٦) ينظر: المطول، ص٢٢٦.

(٣٧) البيت لشِمْر بن عمرو الحنفي، ينظر: الأصمعيات: عبد الملك بن قريب، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية ١٩٦٤م، رقم القصيدة ٣٨، ص ١٢٦، و دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بجدة والقاهرة، الطبعة الثالثة١٤١٣هـ –١٩٩٢م ، ص٢٠٦، والكامل: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق.د. محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م ،٩٨٣/٢ ورواية الشطر الثاني فيه: فأجوزُ ثم أقول لا يعنيني.

(٣٨) ينظر: المفتاح، ص١٨٥، وعروس الأفراح ٢٨٦/٢، والمطول، ص٢٢٦.

(٣٩) ينظر: المطول، ص٢٢٦.

تدلُّ لام التعريف في كثيراً من الأحيان على حقيقةِ جميعِ أفرادِ مدخولها، على نحوٍ يفيدُ العمومَ والشمولَ عند قيام قرينةٍ تَدُلُّ على ذلك.

وقد وَضَعَ النحويون لهذه اللام ضَابطاً، وهو أن تخلُفُها (كلّ) حقيقةً[٤٠]. ومثالها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [٤١] جيء باللام في لفظ (الإنسان) ليُشار بها إلى الحقيقة «ولكنْ لم يُقْصَدْ بها، الماهيةُ من حيثُ هي هي، ولا من حيثُ تحقُّقُها في ضِمنِ بعضِ الأفرادِ، بل في ضِمنِ الجميعِ، بدليلِ صِحَّةِ الاستثناءِ الذي شَرَطه دخولُ المستثنى في المستثنى منه، لو سُكِتَ عن ذِكْرِه»[٤٢]. وتسمى هذه اللامُ بلامِ الاستغراقِ، وهي ضَربانِ:

حقيقي: وهي التي يُراد بِمَدْخُولها كلُّ فردٍ مما يدلُّ عليه اللفظُ، بحسب اللغة[٤٣]، نحو: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [٤٤] أي: كلُّ غيب وشهادة.

وعُرفي: وهي التي يُراد بمدخولها كل فردٍ مما يتناوله اللفظ، بحسب مُتَفَاهَمِ العُرف[٤٥]، نحو: (جمَعَ الأميرُ الصّاغَةَ) أي: صَاغَةَ بلدِهِ أو أطرافِ مملكَتِه فحسب، لا صاغةَ الدنيا، لأنه المفهومُ عُرفاً.

٥) الدلالةُ على الاسم الموصولِ:

قد تدلُّ لامُ التعريفِ على الاسم الموصولِ بِلفظِ المفردِ والمثنى والجمع والمذكّر والمؤنثِ، وذلك عندما تدخُلُ على اسمِ الفاعلِ واسمِ المفعولِ، شريطةَ ألا تدلَّ على العهدِ أو الجنسِ، مثالُ ذلك: انْصُرِ المدافِعَ عن حقِّهِ، أي: الذي يدافعُ عن حقِّهِ.

وخلاصةُ الأمر في كلّ أنواع اللام أن اللام إذا جيء بها للدلالةِ على الحقيقةِ والماهيةِ والجنس، من غير نظرٍ إلى ما صدَقتْ عليه الحقيقة من الأفراد فهي لامُ الحقيقة أو الجنس، وإذا جيء بها للدلالة على الحقيقةِ في ضِمنِ فردٍ مُبهم غيرِ معينٍ فهي لامُ العهدِ الذهني، وإذا جِيء بها للدلالة على الحقيقة في جميع الأمر فهي لام الاستغراق، وقد تأتي للدلالة على الاسم الموصولِ.

ثانياً– (ال) التعريف بلاغياً

تمَّ الحديثُ عن دلالاتِ لامِ التعريفِ عند دخولها على أيِّ اسمٍ وعلى نحوٍ عام، سواء أكان مبتدأً أم فاعلاً أم اسماً مجروراً أو غير ذلك من الأسماء. ولكن ثمَّةَ مقاصدُ بيانيةٌ ووظائف بلاغيةٌ تنفردُ بها اللامُ، لا سيّما

(٤٠) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام الأنصاري، تحقيق: الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حَمْد الله، وسعيد الأفغاني، مطبوعات جامعة حلب ، ص٧٣.

(٤١) الآية ٢، من سورة العصر.

(٤٢) ينظر: المطول، ص٢٢٧.

(٤٣) ينظر: المصدر السابق، ص٢٢٨.

(٤٤) الآية ٢٢ من سورة الحشر.

(٤٥) ينظر: المطول، ص٢٢٨.

عند دخولها على خبرِ المبتدأ ، لأن الأصلَ في الخبرِ أن يكونَ نكرةً كما هو مُتعارفٌ عليه، مُجرَّداً من (ال) التعريف، وعِلّةُ مجيئِهِ نَكِرةً هي أنّا نُخبرُ به ما يجهَلُه المخاطبُ فنعرِّفُه إياه، ونُعلِمُه مضمونَه، فإذا دخلتْ عليه (ال) التعريف فإنها تكون لأغراضٍ محددةٍ، ووظائفَ معينةٍ، يقول عبدُ القاهرُ الجرجاني[ت ٤٧١هـ]: «مِنْ حقِّنا أن نَعْلَمَ أنَّ مذهبَ الجنسيةِ في الاسم، وهو خبرٌ، غيرُ مذهبها وهو مبتدأ. تفسيرُ هذا أنَّا وإنْ قلنا: إنَّ (اللامَ) في قولك: (أنتَ الشجاعُ)، للجنسِ، كما هُوَ له في قولِه: (الشجاعُ مُوقًّى، والجبانُ مُلَقًّى)، فإنَّ الفرقَ بينهما عظيمٌ. وذلك أنَّ المعنى في قولك: (الشجاعُ موقًّى)، أنك تُثبتُ الوقايةَ لكلِّ ذاتٍ من صفتها الشجاعةُ، فهو في معنى قولك: الشجعانُ كلُّهم موقَّوْن. وأما في قولك: (أنت الشجاعُ)، فلا معنى فيه للاستغراقِ، إذْ لستَ تريدُ أن تقولَ: (أنت الشجعانُ كلُّهم)، حتى كأنك تذهبُ به مَذْهبَ قولِهم: أنت الخلقُ كلُّهم، وأنت العالَمُ »[٤٦].

ولو كان المعنى في(أنتَ الشجاعُ) على أنه استغراقُ الشجاعاتِ التي يُتوهَّم كونُها في الموصُوفينَ بالشجاعة لما قالوا: إنه بمعنى "الكاملُ في الشجاعة"، لأن الكمالَ هو أن تكونَ الصفةُ على ما يَنْبغي أن تكونَ عليه، وأن لا يخالطها ما يقدَحُ فيها. وليس الكمالُ أن تجتمعَ آحادُ الجنسِ، ويَنضمَّ بعضُها إلى بعضٍ، فالغرضُ إذاً بالقول: أنتَ الشجاعُ، هو الغرضُ بقولهم: هذه هيَ الشجاعةُ على الحقيقة وما عداها جُبْنٌ[٤٧]. فالفرق واضح بين لام المبتدأ ولام الخبر من حيث الوظيفة والدلالة.

من هذا المنطلقِ وَجَبَ الوقوفُ على اللام التي تدخل على الخبر ، وتعرُّفُ أهمِّ خصائصها البلاغية التي يمكن أن نوجزها بما يلي:

١ – قَصْرُ الخبرِ على المُخْبَرِ عنه على وَجهِ المُبالغةِ:

إذا دخلتْ لامُ التعريف على الخبرِ فإنها تُفيدُ في قَصْرِ جِنسِ معنى الخبرِ على المخبَرِ عنه، وهو المبتدأ، قصْراً غيرَ محقَّقٍ، بل مُبالغاً فيه، لِكمالِ ذلك الجنسِ في ذلك الشيء، وهذا نحوُ قولُك: زيدٌ هو الجوادُ. فقد قَصَرت (أل) التعريف (الجُودَ) على (زيد)، كما خَصَّصْته بهذه الصفةِ دونَ غيرِه، وجعلتْ الكلامُ يظهرُ على نحوٍ مُبالَغ فيه، فَكأنَّ الجودَ لم يُوجدْ إلا فيه، فلا يُعتَدُّ بما كان من غيرِه من جُودٍ، لقُصُورِه عن هذه الدرجة، فهو الكاملُ في هذه الصفةِ.

ومن ذلك قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [٤٨]

(٤٦) دلائل الإعجاز، ص١٩٥، ١٩٦.

(٤٧) ينظر: دلائل الإعجاز، ص١٩٧.

(٤٨) الآيات ٢، ٣، ٤ من سورة الأنفال.

الشاهد في قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ حيث قصرتْ (ال) التعريفِ الإيمانَ على أصحابِ تلك الصفاتِ المُشارِ إليهم باسم الإشارة[٤٩]، وأفادتْ أنهم المختصون بها دونَ غيرِهم.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [٥٠] أي هم المختصونَ بهذه الصفة[٥١]، دون غيرهم.

وإذا قَصَد المتكلمُ هذا المعنى في الخبرِ، أي القصرَ والتخصيصَ، فلا يجوزُ لهُ العطفُ على جِهة الاشتراكِ، فلا يَصِحُّ أن يُقال: زيدٌ هو الجوادُ وعمرٌو. لأن ذلك يلغي وظيفةَ القَصْرِ والتخصيص.

وقد ذكر التّفْتَازاني[ت ٧٩٢هـ] في (المطول) أن لامَ الجنسِ هذه تؤدي الوظيفةَ ذاتَها إذا دَخَلتْ على المبتدأ، نحو: الأميرُ زيدٌ، والشجاعُ عمروٌ. فلا تفاوتَ بينهما وبين ما تقدَّم في إفادة قصرِ الإمَارةِ على زيد، والشجاعةِ على عمرو. لأنَّ اللامَ إنْ حُمِلَتْ لكونها على الاستغراقِ صار المعنى بمنزلة: كلُّ أميرٍ زيدٌ، وكلُّ شجاعٍ عمروٌ، على طريقةِ: أنتَ الرجلُ كلُّ الرجلِ. وإن حُمِلتْ على الجِنس والحقيقةِ فالكلامُ يُفيدُ أنَّ زيداً وجنسَ الأميرِ، وعمراً وجنسَ الشُّجاعِ مُتَّحدانِ في الخارج ضرورةً، وعندئذٍ يجب ألا يَصْدُقَ جِنسُ الأمير والشجاع إلا حيث يصدُقُ زيد وعمر، وهذا معنى القصرِ[٥٢].

وقد مرّ بنا قبلَ قليلٍ أن عبدَ القاهرِ الجرجانيّ ذَهبَ إلى أنّ اللام التي تدخل على المبتدأ تدلّ على الاستغراقِ، نحو: الشجاعُ موقّى، بمعنى: كلُّ شجاعٍ موقّى، في حين رأى التفتازاني أن دخول اللام على المبتدأ يفيد قَصْرَ المبتدأ على الخبر، نحو: الأميرُ زيدٌ .

يلحظُ المتأملُ أن الأمثلةَ التي ساقها الجرجاني تدلُّ دلالة واضحةً على أنّ لامَ المبتدأ تفيدُ الاستغراقَ، ولعلَّ سببَ ذلك هو نوعيةُ الخبرِ، وهو هنا اسم مُشتقٌ يدل على المفعولية(موقّى)، بمعنى أنه اسمٌ غيرُ مخصصٍ بشخصِ المبتدأ فقط، فكلّ إنسانٍ شجاع هو موقّى.

كذلك فإن الأمثلة التي ساقها التفتازاني تُشيرُ إشارةً صريحةً إلى أنّ اللامَ التي دخلتْ على المبتدأ إنما تُفيد في قصْرِه على الخبر وتخصيصِهِ به، ولعلّ السبب في ذلك هو وُرُوْدُ الخبرِ على هيئة اسم علمٍ محددٍ بالمبتدأ ومقصورٍ عليه، فامتنع عندئذٍ الحملُ على الاستغراق، ولم يجزْ أن يقال: كلُّ أمير زيدٌ.

لذلك فإن رأيَ الشيخين صحيح بالنظر إلى نوعيّة الخبر ولا تعارُضَ بينهما.

والحاصِلُ أن المعرَّفَ بلامِ الجِنس إنْ جُعل مبتدأ فهو مقصور على الخبر، سواء أكان الخبر معرَّفاً بلام الجنس، نحو: الكَرَمُ التقوى، أي: لا غيرَها، والأميرُ الشجاعُ، أي: لا الجبانُ، أم كان غير معرَّفٍ أصلاً، نحو التوكُّلُ على الله، والتفويضُ إلى الله، والكرمُ في العرب، لأنَّ الجنسَ حينئذٍ يَتَّحِدُ معَ واحدٍ مما يصدُق عليه

(٤٩) ينظر: التحرير والتنوير ٢٠/٩.

(٥٠) الآية ٢٥٤ من سورة البقرة.

(٥١) ينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة : يحيى بن حمزة العلوي اليمني، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م، ١٤/٢.

(٥٢) ينظر: المطول، ص٣٤٧.

الخبرُ، فلا يتحقّقُ بدون ذلك الواحد، لكن يمكن تحقُّق واحدٍ منه في الجملةِ بدونِ الجنس، فيلزمُ أن يكون الكَرَمُ مقصوراً على الاتّصَافِ بكونه في العرب، ولا يلزَمُ أن يكونَ ما في العرب مقصوراً على الاتصاف بالكرم.

وإن جُعل المعرَّف بلام الجنس خبراً فهو مقصور على المبتدأ كما مرّ، نحو: زيدٌ الأميرُ، وعمروٌ الشجاع(٥٣).

٢ – قَصْرُ الخبر على المُخْبَر عنه على وجه الحقيقة:

إذا دخلتْ لامُ التعريف على الخبرِ فإنها تفيدُ في قَصْرِ جِنسِ الخبر على المُخبر عنه، لا على معنى المبالغةِ، وتركِ الاعتدادِ بوجوده في غيرِ المخبَرِ عنه، بل قصْراً حقيقياً مُطابِقاً للواقع، على معنى أنه لا يوجدُ إلا هو حقيقةً، أو لا يفعلُ مِثْلَ هذا الفعلِ إلا هوَ، نحو: زيدٌ الأميرُ، إذا لم يكن أميرٌ سِواهُ، حيث أفادتْ (ال) في قَصْرِ الإمَارةَ على زيد، والقرينةُ التي دَلّتْ على ذلك حَاليَّة، حيث لا يوجدُ أميرٌ سواه في المدينة.

يُفهَمُ من المثالِ السابقِ أن اللامَ لا تستطيعُ القيامَ بوظيفتها المَنُوطةِ بها وهي قَصْرُ الخبر على المُخْبَر عنه على وجه الحقيقةِ إلا إذا قُيِّدَ الخبرُ الذي دخلتْ عليه اللامُ بشيءٍ يُخَصِّصُه، ويجعله في حُكْم نوعٍ برأسه، كنحوِ أن يُقَيَّد بوصفٍ أو حالٍ أو ظرفٍ أو مفعولٍ. مثال ذلك قولُك: زيدٌ الكريمُ حين يبخَلُ كلُّ جوادٍ، فهنا أفادتْ (ال) في قَصْرِ صفةِ الكرم على زيدٍ على وجه الحقيقةِ، فهو الكريم حين يبخَلُ الكُرماء، ومنه قول الأعشى(٥٤):

هُوَ الواهِبُ المِئَةَ المُصْطَفَا ... ةَ إمَّا مَخاضَاً وإمّا عِشَارَاً

حيث أفادتْ(ال) في قَصَر الممدوحِ على هِبةِ مئةٍ من الإبلِ حالَ كونها مخاضاً أو عشاراً، وليس المقصودُ هبةَ المئةِ مطلقاً بأي حال، ولا الهبةَ مطلقاً سواء كانت هبةَ الإبل أو غيرَها، فالقصد ههنا إلى جنسٍ مخصوص من الهبة.

٣ – تَمكينُ الخبرِ وإيضاحُه:

تُفيدُ (ال) التعريف في أحيانٍ كثيرةٍ في تمكينِ الخبر، وتأكيدِهِ في جنسٍ اتّضَحَ أمرُه اتِّضَاحاً لا يَسعُ إنكارُه، وظَهَر حالُه ظُهوراً لا يخفى على أحدٍ، وهذا كقولك: زيدٌ الشُّجاعُ، على معنى أن إسنادَ الشجاعةِ إليه أمرٌ ظاهرٌ لا يَفتقرُ إلى دلالةٍ، ولا يحتاجُ إلى عَلامةٍ وأمَارة.

ومنه قول الخنساء(٥٥):

إذا قَبُحَ البُكاءُ على قَتيلٍ ... رأيتُ بكاءَكَ الحَسَنَ الجميلا

(٥٣) ينظر: المطول، ص٣٤٧ – ٣٤٨.

(٥٤)ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق: د.محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، القاهرة.دط.دت ، ص ٥١.

(٥٥) البيت في شرح ديوان الخنساء، دار التراث العربي، بيروت، ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨م ، ص٧٢.

فهي لم تُرِدْ أن تقصُرَ الحُسْنَ في البكاء عليه على وجه المبالغةِ، ولا على وجهِ الحقيقةِ، ولم تُرِدْ أنَّ ما عدا البكاء عليه ليس بحَسَنٍ ولا جميل، وإنما أرادت أن تُقرِّرَه وتؤكدهُ في جِنسٍ ما حُسنُه الحُسْن الظاهر الذي لا يُنكره أحدٌ، ولا يشكُّ فيه شاكٌّ.

ومثله قولُ حسّانَ بنِ ثابت يهجو أبا سفيان قبل إسلامه(٥٦):

وإنَّ سَنَامَ المجْدِ مَنْ آلِ هَاشِمٍ بَنُـــو بِنـــتِ مَخْـــزُومٍ وَوَالِـــدُكَ العَبـــدُ

إذ لم يقصِدِ الشاعرُ وجودَ العبوديةِ في والد أبي سفيان فحسب، بل أرادَ أنه المعروفُ بذلك، المشتهرُ به، وهو ما افادتْهُ اللام عندما دخلتْ على كلمة(العبد). ولو أنه قال: «ووالدك عبدٌ» لم يكن قد جعل حالَه في العبودية حالةً ظَاهرةً متعارَفَة.

٤- تَنْحُو بالخبرِ نحوَ التعريف بحقيقةٍ عقلَها المخاطبُ أو تَوهَّم أنه لم يعرفْها:

كثيراً ما تنحو (ال) التعريفِ بمدخولها نحوَ التعريفِ بحقيقةٍ عقلَها المخاطب أو توهَّم أنه لم يعرفْها وذلك من خلالِ مَزِيّةِ الإيهامِ والتخييل، إذ قد يُصوِّرُ المتكلمُ في ذهنِ المتلقي شيئاً ما، ثم يُرْشِدُه إليه، ويُعَيِّنُه له، كأن يقولَ له: تصور كذا وكذا، فإذا تصورتَه في نفسك فتأمل فلاناً، فإنك تجِدُ فيهِ ما تصورتَه في نفسِك كاملاً، ويأتيك به تماماً.

من ذلك قولُهم: (هو البطلُ المحامي)، إذ يُفصِّل الشيخُ الجرجاني القولَ في بلاغة اللامِ التي دخلتْ على كلمة(البطل) بقوله: «وأنتَ لا تقصدُ شيئاً مما تقدّمَ(من وظائفِ اللامِ) فلستَ تُشيرُ إلى معنىً قد عَلِمَ المخاطبُ أنه كان، ولم يعلمْ أنه ممن كان... ولا تريدُ أن تقصُرَ معنًى عليه، على معنى أنه لم يحصَلْ لِغَيرِه على الكمال، كما في قولك: «زيدٌ هو الشجاعُ» ولا أن تقول: ظاهرٌ أنه بهذه الصفة، كما كان في قوله: «ووالدُكَ العبدُ»، ولكنك تريدُ أن تقولَ لصاحبِك: هل سمعتَ بالبطلِ المحامي؟ وهل حصّلت معنى هذه الصفةِ؟ وكيف ينبغي أن يكون الرجلُ حتى يَستحقَّ أن يُقالَ ذلك له وَفِيه؟ فإن كنتَ قَتَلتَهُ عِلماً، وتَصوَّرْتَه حقَّ تصوُّرِه فعليكَ صاحبَك، واشدُدْ به يدَك، فهو ضالَّتُك وعندَه بغيتُكُ»(٥٧).فكما هو ملاحظ فإنَّ المزيَّة التي تنفرد بها هذهِ اللامُ عن سابقاتها، أنها هنا تقودُ السامعَ إلى تصوُّرِ المخبَرِ عنه، واستحضارِ صورته في الذهن، إذ المعوَّلُ هنا مراجعةُ النفسِ واستقصاءُ التأملِ.

وثَمّةَ أمرٌ آخرَ يساعدُ في إظهارِ مَزِيَّةِ هذه اللام على نحوٍ جليٍّ وهو إتْباعُ مَدْخولها بصفةٍ، كما مرّ في المثال السابق: هو البطلُ المحامي، فقد جاء مدخولُ اللام(البطل) مَوصُوفاً بكلمة(المحامي) مما أسهم في تصوّر حالِ المخبَرِ عنه وتِبْيَان وضعهِ بأنه وحدَه هو البطل المِغْوارُ الذي لا يُشقُّ له غُبار.

(٥٦) البيت في ديوان حسان بن ثابت، تحقيق: د. وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤م، ٣٩٨/١.
(٥٧) دلائل الإعجاز، ص١٨٢.

ومن ذلكَ أيضًا قولُ ابن الرومي[٥٨]:

هُـــوَ الرجُـــلُ المشـــروكُ في جُـــلِّ مالِـــهِ ولكنّـــــه بالمجـــــدِ والحمْـــــدِ مُفْـــــرَدُ

تقديره: كأنه يقولُ للسامعِ: فَكِّرْ في رجلٍ لا يتميَّز عُفَاتُه وجيرانُه ومعارِفُه عنه، في ماله وأخْذِ ما شاؤوا منه، فإذا حصّلتْ صورتَهُ في نفسِك، فاعلمْ أنه ذلكَ الرجلُ.

ومن ذلك أيضاً قول الشاعر[٥٩]:

أنا الرجُلُ المدعُوُّ عاشِق فقرِهِ إذا لم تُكارِمْني ظُرُوفُ زَماني

هذه هي أهمُّ دلالات اللام وخصائصها البلاغية في الأسماء عامة، وفي الخبر خاصة.

الخاتمة

في نهايةِ الحديثِ عن لامِ التعريفِ وعن دلالتها السياقيّة والبلاغيّة لا بدَّ من الإشارةِ إلى إنَّ التمييزَ بين أنواعِ اللام وتحديدِ دلالاتها أمرٌ يُشكِلُ في بعض الأحيانِ، لِتَشَابُه مداخِلِها، وتقارُبِ أنواعها، ولا سيّما اللام التي تدخل على المبتدأ أو الفاعل، أي التي تدخل على المسند إليه، وهذا ما نبّه إليه أبو يعقوب السكاكي حقاً بعد أن ذَكَر أقسامَ اللام في باب المسند، إذ قال: «واعلمْ أن القولَ بتعريفِ الحقيقةِ باللام، واستغراقِها مُشكلٌ»[٦٠]وأورد بعد ذلك اعتراضينِ؛ الأول على كون اللام لتعريف الحقيقة، والثاني على كونها للاستغراق.

وقد تبيّن أيضاً أن دلالاتِ لامِ التعريفِ تختلفُ من مدخولٍ إلى آخر، فقد تدلُّ على فردٍ معهودٍ من أفرادِ الحقيقيةِ، وتسمّى هذه اللام بلام العهدِ الخارجيّ، وقد تدلُّ على حقيقةِ مدخولها وجنسه، وتُسمى عندئذٍ بلام الجنسِ، وقد تدلّ على فردٍ مُبهمٍ من أفراد الحقيقيةِ، وتُتسمى بلام العهد الذهني، وقد تدل على حقيقةِ جميعِ أفراد مدخولها، وتسمى هذه اللام بلام الاستغراقِ.

كما تبيّنَ من هذهِ الدراسةِ وجودُ وظائفَ بلاغيةٍ مهمةٍ تؤديها لام التعريفِ، منها أنها تفيدُ في قَصْرِ الخبر على المخْبَرِ عنه على وجه المبالغة، وعلى وجه الحقيقة أيضاً، وتفيدُ في تَمكينِ الخبرِ وإيضاحِه، كما تَنْحُو بالخبر نحو التعريف بحقيقةٍ عقلَها المخاطب أو توهَّم أنه لم يعرفْها.

(٥٨)البيت في ديوان ابن الرومي، تحقيق: د.حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م ٥٨٩/١.

(٥٩) البيت في دلائل الإعجاز من غير نسبة، ص١٨٤، وهو لابن الرومي في محاضرات الأدباء: الراغب الأصفهاني، تحقيق: د. عمر الطباع، شركة الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م، ٦١٩/١.

(٦٠)مفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م ، ص٢١٤.

المصادرُ والمراجعُ

ارتشافُ الضَرب من لسان العرب: أبو حيان الأندلسي، تحقيق: الدكتور رجب عثمان محمد، والدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ — ١٩٩٨م.

الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة: محمد بن علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: د. عبد القادر حسين، دار نهضة مصر، القاهرة.

الأصمعيات: عبد الملك بن قريب، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية ١٩٦٤م.

الأصول في النحو: أبو بكر محمد بن سهل بن السراج،تحقيق: الدكتور عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني، شرح وتعليق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الأزهرية، الطبعة الثالثة١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م.

التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م.

حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك؛ محمد بن علي الصبان، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.دط.دت.

دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بجدة والقاهرة، الطبعة الثالثة١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .

ديوان ابن الرومي، تحقيق: د.حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م.

ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق: د.محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، القاهرة.دط.دت.

ديوان البوصيري، تحقيق: محمد سيد كيلاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي، الطبعة الأولى ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥م.

ديوان حسان بن ثابت، تحقيق: د. وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤م.

شرح التسهيل: ابن مالك الأندلسي، تحقيق: الدكتور عبد الله السيد، والدكتور محمد بدوي المختون، دار هجر، الطبعة الأولى ١٣١٠هـ – ١٩٩٠م.

شرح الكافية الشافية: جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي، تحقيق: الدكتور عبد المنعم أحمد هريدي، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .

شرح ديوان الخنساء، دار التراث العربي، بيروت، ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨م.

شرح قطر الندى وبل الصدى: أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الخير، مكتبة طيبة، المدينة المنورة.

شعر زهير بن أبي سلمى، صنعة الأعلم الشنتمري، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠م.

الطراز المتضمن لأسرار البلاغة : يحيى بن حمزة العلوي اليمني، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢م.

عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: بهاء الدين السُّبكي، تحقيق: د.خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م.

الكامل: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق.د. محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م .

كتاب سيبويه: أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام هارون،عالم الكتب،بيروت، الطبعة الثالثة،١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

اللمع في العربية: أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: الدكتور سميح أبو مغلي، عمان، دار مجد لاوي للنشر، ١٩٨٨م.

محاضرات الأدباء: الراغب الأصفهاني، تحقيق: د. عمر الطباع، شركة الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م.

المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم: سعد الدين التفتازاني، تحقيق: د.عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام الأنصاري، تحقيق: الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حَمْد الله، وسعيد الأفغاني، مطبوعات جامعة حلب.

مفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

المفصل في علم العربية: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري،دار الجيل، الطبعة الثانية، بيروت- لبنان .

المفصل في علوم البلاغة العربية : د.عيسى علي العاكوب، منشورات جامعة حلب، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.

المقتضب:أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة،جمهورية مصر، وزراة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد السلام هارون وعبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

المقالات

أداةُ التعريف في العربية دراسة تاريخية: الدكتور غالب فاضل المطلبي، مجلة الموارد، عدد ٧٤.

التعريف والعدد في اللغة العربية واللغات الأوربية: الأستاذ عباس محمود عقاد، مجلة الأزهر،شعبان ١٣٨١، العدد ٢١١.

درجات التعريف والتنكير في اللغة العربية: الدكتور إبراهيم بن صالح بن مد الله الحندود، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية، ج ١٩، العدد ٣١، رمضان ١٤٢٥هـ.

Arapçada "el" Takısı ve Fonksiyonları, Yrd.Doç.Dr.Nejdet GÜRKAN EKEV Akademi Dergisi, Yıl 2004 , Sayı 18.